AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

الأمثال العربية كوسيلة تربوية وأخلاقية: "ومن يشابه أبه فما ظلم" نموذجًا

[ARABIC PROVERBS AS AN EDUCATIONAL AND MORAL TOOL: *"WA-MAN YUSHABIH ABAHU FAMA ZALAM"* AS A CASE STUDY]

Tajudeen Yusuf

Department of Arabic and French, Arabic Unit, Kwara State University, Malete, Kwara State, Nigeria

Corresponding Author: *tajudeen.yusuf@kwasu.edu.ng*

Received: 2/9/2024 *Accepted: 28/1/2025* *Published: 31/3/2025*

ملخص

تتناول هذه الدراسة المثل العربي "ومن يشابه أبه فما ظلم" من منظور التربية الخلقية، موضحةً كيف يعكس هذا المثل قيمًا تربوية وأخلاقية وإنسانية متوارثة عبر الأجيال، يستند البحث إلى تحليل هذا المثل كأنموذج لدراسة نقل القيم الأخلاقية والسلوكية من الآباء إلى الأبناء، ويبحث في الأبعاد التربوية والدينية والاجتماعية والنفسية التي تسهم في تكوين الشخصية الفردية بناءً على هذه القيم. تهدف الدراسة إلى فهم كيفية تأثير هذه الأمثال في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للأفراد، ودورها في الحفاظ على التراث الأخلاقي داخل المجتمعات العربية. وقد اعتمدت الدراسة على مراجع متنوعة من الأدب العربي والتفسير القرآني والدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة لدعم النقاط المطروحة. ومن خلال استعراض الحجج الفلسفية والدينية والعلمية، يظهر أن التشابه بين الآباء والأبناء ليس مجرد ظاهرة بيولوجية، بل هو نتاج تفاعل معقد بين الوراثة والتربية والثقافة.

الكلمات المفتاحية: الأمثال العربية، التربوية الخلقية، "ومن يشابه أبه فما ظلم"، القيم الاجتماعية، التنشئة الأسرية

Abstract

This study examines the Arabic proverb "Wa-Man Yushabih Abahu Fama Zalam" (Whoever Resembles His Father Has Not Wronged) from the perspective of moral education, highlighting how this proverb

reflects inherited educational, moral, and human values passed down through generations. The research uses this proverb as a model to explore the transmission of ethical and behavioral values from parents to children, analyzing the educational, religious, social, and psychological dimensions that contribute to the formation of individual character based on these values. The study aims to address how such proverbs influence the cultural and social identity of individuals and their role in preserving moral heritage within societies. The research draws on a variety of sources from Arabic literature, Qur'anic exegesis, and modern psychological and social studies to support its points. Through the examination of philosophical, religious, and scientific arguments, it becomes evident that the resemblance between parents and children is not merely a biological phenomenon but is the result of a complex interaction between genetics, upbringing, and culture.

Keywords: *Arabic proverbs, ethical and behavioral values, "Wa-Man Yushaabih Abahu Fama Zalam", social values, family socialization*

Cite as: Yusuf, T. (2025). al-Amthāl al-ʿArabiyyah ka-wasīlah tarbawiyyah wa-akhlāqiyyah: "Wa-man yushābih abāhu fa-mā ẓalam" namūdhajan [Arabic proverbs as an educational and moral tool: *"Wa-man yushābih abāhu fa-mā ẓalam"* as a case study]. *Afaq Lughawiyyah, 3*(1), 47–59. https://doi.org/10.37231/afaq.2025.3.1.137

© Penerbit Universiti Sultan Zainal Abidin, 2026. This work is licensed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY) (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مقدمة

الأمثال العربية تعتبر كنزًا ثقافيًا زاخرًا بالحكمة والموعظة، حيث تنقل تجارب الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة بطريقة مكثفة وبليغة، ويأتي المثل "ومن يشابه أبه فما ظلم" كأحد هذه الأمثال البارزة التي تعكس عمق العلاقة بين الأبناء وآبائهم، ومدى تأثير التربية الخلقية في تشكيل سلوكيات الأفراد، إن هذا المثل يحمل في طياته رسالة مفادها أن التشابه بين الأب والابن ليس مجرد تطابق في المظهر، بل هو تجسيد للقيم والمبادئ التي ورثها الابن عن أبيه، في هذا السياق، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل هذا المثل من خلال استكشاف جوانب التربية الخلقية الكامنة فيه، وكيفية انعكاس هذه التربية على السلوكيات الفردية والاجتماعية للأفراد في المجتمعات العربية. يُعبّر هذا المثل عن فكرة وراثة الصفات والسلوكيات بين الأجيال، مشيرًا إلى أن الفرد الذي يتبع خطى والده ويشبهه في سلوكياته وصفاته، ليس بمخطئ، بل هو امتداد طبيعي للعائلة (Awad, 2019). هذه الفكرة تعكس الترابط الأسري والتواصل بين الأجيال، وتبرز أهمية الحفاظ على القيم والعادات المتوارثة في المجتمع.

وهناك التعابير والنصوص المماثلة، في التراث العربي والإسلامي، والتي تؤكد على الوراثة الجينية والاجتماعية والقيمية بين الأجيال. ومن الأمثال المشابة قولهم "الولد سر أبيه"، هذا التعبير مفاده أن الأبناء غالبًا ما يحملون صفات وسلوكيات مشابهة لآبائهم.، ومنها قولهم "هذا الشبل من

ذاك الأسد"، ويُستخدم هذا المثل للدلالة على أن الابن يحمل صفات القوة والشجاعة من أبيه، ويُشير إلى التشابه الكبير بين الأب وابنه في الأمور الحميدة. ومنها قولهم "كما تكونوا يولى عليكم"، تعبير يعكس هذا القول تأثير التربية والبيئة في تشكل صفات الأبناء. ومن نصوص مماثلة من القرآن والحديث قوله تعالى: "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا" (سورة الأعراف، الآية ٥٨ حيث تشير الآية إلى أن البيئة الصالحة تنتج ثمارًا صالحة، مما يمكن أن يُفهم في سياق تربية الأبناء وتأثير الآباء عليهم. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم مما رواه الترمذي: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل" يؤكد هذا الحديث تأثير الصحبة والتربية على تشكيل الشخصية، وهو قريب من فكرة المثل.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في دراسة كيفية تأثير الأمثال العربية، في نقل القيم الأخلاقية والتربوية عبر الأجيال، واستكشاف دورها في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للأفراد. تُطرح تساؤلات حول ما إذا كان التشابه بين الآباء والأبناء يتجاوز البعد البيولوجي إلى أبعاد تربوية وثقافية عميقة، ومدى إسهام هذا التفاعل بين الوراثة والتنشئة والثقافة في بناء الشخصية الفردية واستدامة التراث الأخلاقي داخل المجتمعات العربية.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، حيث تم تحليل المثل "ومن يشابه أبه فما ظلم" باعتباره نموذجًا لتفسير القيم الأخلاقية والسلوكية في الثقافة العربية. تم توظيف مصادر متنوعة تشمل الأدب العربي والتفسير القرآني والدراسات الحديثة في علم النفس والاجتماع لدراسة أبعاد المثل من منظور تربوي وديني واجتماعي ونفسي. بالإضافة إلى ذلك، استخدم المنهج المقارن لبيان أوجه التفاعل بين الجوانب الوراثية والتربوية والثقافية في تفسير العلاقة بين الآباء والأبناء وتأثيرها على تكوين الشخصية.

الدراسات السابقة والفجوة البحثية

تناولت الدراسات السابقة العديد من الجوانب المرتبطة بالأمثال العربية، مركزة على أبعادها التربوية، الثقافية، واللغوية. فقد أوضحت دراسة الربابعة (٢٠١٨) الدلالات النفسية والتربوية التي تحملها الأمثال الثقافية العربية، مستعرضةً صورة الطفل في هذه الأمثال وتأثيرها على تشكيل مفاهيم الطفولة في المجتمعات العربية، مما يعزز الفهم العميق لدور الأمثال في بناء القيم التربوية لدى الأفراد.

كما ركزت دراسة بابطين والجراح (٢٠١٩) على توظيف الأمثال السائرة في إثراء كفايات متعلمي اللغة العربية، حيث استعرضت الخصائص الأسلوبية والمحتوى التعليمي للأمثال، مبينةً دورها الفعّال في تطوير المهارات اللغوية والثقافية للمتعلمين. أما دراسة جيل الدراسات الثقافية والفكرية (٢٠١٨) فقد سلطت الضوء على الأنساق الثقافية المضمرة في الأمثال العربية القديمة، من خلال تحليل انعكاس القيم والتصورات المجتمعية ودورها في نقل القيم الأخلاقية والاجتماعية عبر الأجيال.

على الرغم من إسهامات هذه الدراسات في تقديم رؤى متنوعة حول الأبعاد التربوية والثقافية للأمثال العربية، إلا أنها لم تعالج بصورة تفصيلية الأبعاد الأخلاقية والقيمية التربوية المستمدة من الأمثال العربية كنموذج لتحليل انتقال القيم بين الأجيال. هنا تكمن الفجوة البحثية التي تسعى الدراسة الحالية إلى سدها، حيث تركز على المثل "ومن يشابه أبه فما ظلم" كنموذج يعكس التشابه بين الآباء والأبناء، ليس فقط من منظور بيولوجي، بل من خلال التفاعل المعقد بين الوراثة، التربية، والثقافة. وبالتالي، تضيف هذه الدراسة بعدًا جديدًا يجمع بين التحليل التربوي، الأخلاقي، والاجتماعي في دراسة الأمثال العربية.

أهمية الأمثال ومكانتها في المجتمع

تُعدُّ الأمثال من أقدم وسائل التعبير الأدبي التي استخدمها الإنسان للتعبير عن تجربته الحياتية وتلخيص معارفه وحكمه، وقد اكتسبت الأمثال مكانةً مرموقةً في الثقافات المختلفة نظرًا لما تحمله من معاني ودروس تُستَخلص من واقع الحياة اليومية. في المجتمعات العربية، تلعب الأمثال دورًا بارزًا في نقل الحكمة والتجارب من جيل إلى جيل، إذ يتم تداولها شفويًا وتُستخدم كأداة توجيهية تحمل قيَمًا أخلاقية واجتماعية.

وقد أشار الكثير من الباحثين إلى أن الأمثال تلعب دورًا أساسيًا في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمع، حيث تعكس هذه الأمثال قيمًا وتقاليد متجذرة في وجدان الأفراد، مما يعزز من انتمائهم إلى جماعاتهم الثقافية (Al-Sayyid, 2018). ويضاف إلى ذلك أن الأمثال تُعد وسيلة فعّالة لتوجيه السلوك البشري، حيث تُستدعى في مناسبات متنوعة لتقديم النصح والإرشاد بأسلوب موجز ومؤثر. إضافة إلى ذلك، تُسهم الأمثال في تعزيز التواصل الاجتماعي من خلال توفير لغة ثقافية مشتركة تُعبّر عن القيم والمفاهيم بأسلوب يتجاوز حدود الزمن والمكان.

وقد أكدت الدراسات أن للأمثال دورًا تربويًا واجتماعيًا كبيرًا في نقل القيم والأخلاقيات وتعزيز التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات (Al-U'taybi, 2015). كما أشار الباحثون إلى أن الأمثال تُعد من الأدوات الفعّالة التي تسهم في بناء التفاهم الثقافي والاجتماعي بين الأجيال المختلفة (Al-Balushi, 2018).

فإن دراسة الأمثال وأهميتها في المجتمع تسهم في فهم أعمق للثقافة الإنسانية وتفاعل الأفراد مع بيئتهم الاجتماعية. ومن هنا، تبرز أهمية المثل العربي "ومَنْ يشابه أَبَه فَما ظَلَم" كنموذج يُظهر كيفية تأثير الموروث الثقافي على سلوكيات الأفراد وتوجهاتهم الاجتماعية عبر الأجيال، حيث تُستخدم للتعبير عن تجارب الحياة اليومية، وتقديم النصائح والإرشادات بأسلوب يتسم بالبساطة والدقة. ومن أهمية المثل في الأدب العربي:

١) التعبير عن الحكمة والخبرة: الأمثال في الأدب العربي تعبر عن حكمة مجتمعية تمثل خلاصة التجارب الإنسانية على مر العصور، إذ إن الأمثال تتضمن تجارب ومواقف من الحياة اليومية تُقدم بأسلوب موجز وبليغ، مما يجعلها سهلة التذكر والتداول بين الناس.

٢) تعزيز الهوية الثقافية: الأمثال تسهم في تعزيز الهوية الثقافية للمجتمعات العربية من خلال نقل القيم والمبادئ التي تشكل جزءًا من التراث الثقافي، وتُستخدم الأمثال كوسيلة للحفاظ على هذه القيم وتناقلها من جيل إلى جيل، مما يضمن استمرارية التراث الثقافي.

٣) الترابط الاجتماعي: من خلال استخدام الأمثال في المحادثات اليومية، يتم تعزيز الترابط الاجتماعي بين الأفراد. فالأمثال تعكس القيم المشتركة وتُعزز من الفهم المتبادل بين أفراد المجتمع.

٤) التوجيه والإرشاد: الأمثال تُستخدم كأداة تعليمية تهدف إلى توجيه الأفراد وتقديم الإرشادات والنصائح في مواقف مختلفة من الحياة، ذلك أن الأمثال تقدم حلولًا مختصرة وسريعة للمشكلات الاجتماعية والشخصية، مما يجعلها أداة فعالة في توجيه السلوك.

ومن أهميتها أنها مفيد في نقل القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهي وسيلة تُقدم مجموعة من المعايير السلوكية التي تُساعد الأفراد على التفاعل بشكل إيجابي داخل المجتمع. ويضاف إلى ذلك أنه من خلال استخدام الأمثال، يتم تعزيز التفاهم بين الأفراد، حيث تُقدم المثل حلولًا ونصائح مبنية على تجارب سابقة. هذا يساعد على تجنب النزاعات وتقديم رؤى مشتركة للمواقف الاجتماعية المختلفة. وهي وسيلة للحفاظ على التراث الشفوي ونقله عبر الأجيال، نظرًا لطبيعتها الموجزة وسهلة الحفظ، تمثل الأمثال جزءًا مهمًا من الأدب الشفوي الذي يضمن استمرارية الحكمة والثقافة التقليدية، إن الأمثال أسلوب بلاغي وتأثير أدبي تُعزز من جماليات اللغة العربية من خلال استخدام الأساليب البلاغية التي تجعلها أكثر تأثيرًا وقوة.

الأصول التاريخية للمثل

يعود هذا المثل إلى فترة ما قبل الإسلام، حيث يُنسب إلى بيت شعر قاله الشاعر رؤبة بن العجاج في مدح عدي بن حاتم الطائي. فقد ورد في البيت الشعري:

بأبه اقتدى عدي في الكرم *** ومن يشابه أبه فما ظلم

وفي هذا المثل يُشيد رؤبة بعديّ بن حاتم، معتبرًا إياه قدوةً في الكرم والجود، مثل والده حاتم الطائي، أحد أعلام العرب المشهورين بسخائهم البالغ (Al-Tahir, 2007). وعلى الرغم من أن البيت الشعري يُنسب إلى رؤبة، إلا أن هناك تساؤلات حول مدى دقته الزمنية، إذ إن عدي بن حاتم توفي في عام ٦٨ هـ، بينما وُلِد رؤبة بعد ذلك وتوفي في عام ١٤٥ هـ، مما يجعل اللقاء بينهما مستبعدًا من الناحية التاريخية.

هذا يُشير إلى أن المثل قد يكون قد طُوّر أو انتشر لاحقًا كتعبير عن فكرة التوارث الأخلاقي والاجتماعي بين الأجيال. وتظهر في المثل فكرة محورية في الثقافة العربية، وهي أهمية اقتداء الأبناء بآبائهم في الصفات الحسنة والفضائل، حيث يُستخدم لتأكيد أن الأفراد الذين يتبعون خطى آبائهم في مكارم الأخلاق والكرم يستحقون الثناء والاحترام. هذه الفكرة تدعم التماسك الاجتماعي وتعزز من الروابط الأسرية من خلال التشديد على نقل القيم والأخلاق من جيل إلى جيل. كما أن هذا المثل يعكس

جانبًا من فلسفة القيم في المجتمع العربي، حيث تُعدُّ الفضائل كرمًا وسخاءً سمةً جوهرية يجب الحفاظ عليها عبر الأجيال، مما يعكس رؤية المجتمع لدور الفرد كحامل لقيم الأسرة والمجتمع (Al-'Utaybi, 2012).

محاور المثل الأساسية

ومن خلال عمق الدراسة ودقة النظر يتضح أن المثل "ومن يشابه أبه فما ظلم" يتضمن أبعادًا غنية ومعقدة تمتد إلى ما هو أبعد من المعنى الظاهري، فهذا البيت لا يعبر فقط عن تشابه الأبناء مع آبائهم، بل يتناول أيضًا مفاهيم أعمق تتعلق بالبناء اللغوي والدلالي للبيت الشعري، حيث يستند إلى استخدام لغة قوية ومعبرة تحمل في طياتها دلالات متعددة. كما يكشف عن السياق التاريخي والثقافي الذي نشأ فيه هذا المثل، مما يسهم في فهم أعمق للقيم الأخلاقية والاجتماعية التي يحملها. وبالإضافة، يتطرق المثل إلى محور التشابه الجيني والسلوكي، موضحًا كيف أن هذا المثل يعكس جوانب متصلة بالوراثة والسلوكيات المكتسبة، ويتناول أيضًا المحور الديني والفلسفي، الذي يربط المثل بمعتقدات وأفكار دينية وفلسفية تؤثر على تفسيره وتطبيقه، وأخيرًا، يستعرض المحور العلمي والنفسي الذي يعزز من فهمنا لكيفية تأثير هذه الأمثال على الفرد والمجتمع من منظور علمي ونفسي حديث.

المحور اللغوي

البناء اللغوي والدلالي للمثل "ومن يشابه أبه فما ظلم" يمثل مثالًا بارزًا على الأسلوب البلاغي في الأدب العربي، حيث يجمع بين البساطة اللغوية وعمق المعنى. يستخدم الشاعر رؤبة بن العجاج الفعل "اقتدى"، وهو فعل يدل على التبعية والاتباع، ليشير إلى أن عدي بن حاتم الطائي يسير على نهج والده حاتم الطائي المعروف بكرمه، وهذا الاستخدام يُبرز مفهوم التوارث القيمي، حيث يعبر عن انتقال الفضائل من جيل إلى جيل.

وفي قوله "ومن يشابه أبه فما ظلم"، يعتمد الشاعر على التشبيه المباشر ليؤكد أن التشابه بين الأب والابن في الصفات الإيجابية ليس مجرد مصادفة، بل هو سلوك مشروع وممدوح. فالشاعر يستخدم الأسلوب الإيقاعي لتعزيز الفكرة، إذ يُصاغ البيت بأسلوب سهل التذكر والترديد، مما يساعد على ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي (Al-Tahir, 2007). هذا البناء اللغوي المتمركز حول فكرة الاقتداء والشبه يُعزز من مفهوم الانتماء الأسري وتوارث القيم بين الأجيال

محور السياق التاريخي والثقافي

من الناحية التاريخية، يُعتبر هذا البيت الشعري جزءًا من الشعر الأموي، ويُنسب إلى الشاعر رؤبة بن العجاج، الذي عاش في القرن الثاني الهجري. يُشير هذا البيت إلى عدي بن حاتم الطائي، ابن حاتم الطائي الشهير بكرمه، وهو ما يجعله نموذجًا مثاليًا للحديث عن التوارث القيمي. غير أن هناك تساؤلات حول مدى دقة نسبة هذا البيت لرؤبة، نظرًا لأن عدي بن حاتم توفي في عام ٦٨ هـ، بينما وُلِد رؤبة بعد ذلك بفترة، وتوفي في عام ١٤٥ هـ. هذا الفارق الزمني يجعل اللقاء بينهما مستبعدًا، مما يُثير احتمالية أن البيت قد نُسب لرؤبة لاحقًا، أو أن الفكرة القيمية التي يعبر عنها البيت كانت شائعة بما يكفي لأن تُنسب إلى رؤبة حتى ولو لم يكن هو من عاش في زمن عدي بن حاتم (Al-Anazi,2010) ، وهذه الإشكالية التاريخية تفتح الباب أمام دراسة أعمق للتأثير الثقافي والاجتماعي على تناقل الأمثال والحكم عبر الأجيال.

محور القيم الأخلاقية والاجتماعية

يُعَدُّ المثل الشعبي تجسيدًا للقيم الأخلاقية والاجتماعية في المجتمعات العربية، حيث يُبرز أهمية الاقتداء بالآباء في الصفات الحميدة مثل الكرم والجود. هذا التوجه يتناغم مع القيم الاجتماعية التي تُعلي من شأن الفضائل المتوارثة، وتعتبر الأسرة الوحدة الأساسية لنقل هذه القيم. يعكس المثل رؤية المجتمع للتربية الأخلاقية، حيث يُعتبر الأبناء الذين يتبعون نهج آبائهم في الصفات الإيجابية امتدادًا طبيعيًا ومستحقًا للإشادة. هذا النهج يُعزِّز الروابط الأسرية ويُبرز أهمية الحفاظ على السمعة الطيبة للعائلة عبر الأجيال (Al-Harbi, 2014).

في هذا السياق، تُشير الدراسات إلى أن تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية يتطلب تضافر جهود الأسرة والمؤسسات التعليمية. فالأسرة تلعب دورًا محوريًا في تنمية هذه القيم من خلال الحوار المفتوح مع الأبناء ومراقبة سلوكهم، بينما تسهم المؤسسات التعليمية في تعزيز هذه القيم عبر برامج تدريبية وتربوية موجهة (Al-Jabiri, 2018).

محور التشابه الجيني والسلوكي

يشير المثل "ومن يشابه أبه فما ظلم" إلى التشابه بين الآباء والأبناء، وهو تشابه يمكن تفسيره من خلال العوامل الوراثية والسلوكية. ومن منظور علم الوراثة، أثبتت الدراسات أن الجينات تلعب دورًا

كبيرًا في نقل الصفات الشخصية والسلوكية من الآباء إلى الأبناء. والصفات الوراثية، مثل المزاج والقدرة على التحمل وحتى بعض الأنماط السلوكية، تنتقل من جيل إلى جيل. هذا يُدعم نظرية أن بعض السمات الشخصية والسلوكية يمكن أن تكون موروثة، مما يُظهر أن الأبناء ليسوا مجرد نتاج بيئتهم، ولكن أيضًا نتاجًا مباشرًا لجينات آبائهم (Johnson, 2012).

على الصعيد السلوكي، كما أن المثل يُشير إلى فكرة تقليد الأطفال لسلوك آبائهم، وفقًا لنظرية التعلم الاجتماعي التي قدمها عالم النفس ألبرت باندورا، يتعلم الأطفال من خلال مراقبة سلوك الأشخاص المحيطين بهم، خاصة آبائهم. إذا كان الأب مشهورًا بصفة معينة، مثل الكرم أو الشجاعة، فمن المرجح أن يتبنى الابن هذه الصفة من خلال التقليد والممارسة. هذا التشابه السلوكي بين الأجيال لا يُفسَّر فقط من خلال الوراثة، بل أيضًا من خلال التأثير القوي للتربية والنمذجة السلوكية (Bandura, 1977).

المحور الديني والفلسفي

من المنظور الديني، يعكس المثل أهمية القيم الأخلاقية والتربوية التي ينقلها الآباء إلى أبنائهم، ففي الكثير من النصوص الدينية، يتم التأكيد على أهمية تربية الأبناء على القيم الحميدة والصفات الحسنة، وعلى سبيل المثال، يُشدّد الإسلام على أهمية الاقتداء بالنماذج الصالحة، حيث يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (صحيح البخاري). وهذا الحديث يؤكد على دور الوالدين في تشكيل شخصية الأبناء وتوجيههم نحو القيم الدينية والأخلاقية.

أما من الناحية الفلسفية، فإن المثل يعكس جدلية الوراثة والتربية في تشكيل الهوية الإنسانية. الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو ناقشوا دور التربية في تشكيل الفضائل، حيث رأى أرسطو أن الفضائل الأخلاقية تُكتسب من خلال التدريب والممارسة، وليست فطرية. في هذا السياق، يمكن فهم المثل على أنه تأكيد على أهمية التربية والتنشئة الاجتماعية في نقل القيم من جيل إلى جيل (Aristu, 1984).

المحور العلمي والنفسي

من منظور علم النفس، يُشير المثل إلى العلاقة بين الوراثة والبيئة في تشكيل سلوك الإنسان. فإن الدراسات النفسية الحديثة تؤكد أن السمات الشخصية هي نتيجة لتفاعل معقد بين العوامل الوراثية والبيئية، فالأبناء الذين ينشأون في بيئة تربيهم على قيم معينة مثل الكرم، ويكون لديهم ميل أكبر لتبني هذه القيم مقارنة بمن ينشأون في بيئة تفتقر إلى مثل هذه القيم (Rothbart, 2011).

إن النظرية البيئية السلوكية تركز على كيفية تأثير البيئة على السلوك. ووفقًا لهذه النظرية، البيئة الأسرية تلعب دورًا حاسمًا في تشكيل سلوك الفرد. فالأطفال يتعلمون من خلال مراقبة وتقليد سلوك آبائهم، وهذا يؤدي إلى تطور سلوكيات مشابهة بين الأبناء وآبائهم، وهذا التفاعل بين الوراثة والبيئة يمكن أن يُفسر التشابه الكبير بين الآباء والأبناء الذي يُشير إليه المثل (Bandura, 1977).

التطبيقات الاجتماعية والثقافية

يُستخدم المثل على نطاق واسع في السياقات الاجتماعية والثقافية لتأكيد أهمية الاستمرارية الأسرية والقيم المتوارثة. ففي المجتمعات التقليدية، تُعتبر هذه الأمثال جزءًا لا يتجزأ من الثقافة الاجتماعية، حيث يتم استخدامها لتوجيه الأفراد نحو احترام تراثهم العائلي والعمل على الحفاظ عليه. ففي المجتمعات، وخاصة العربية منها، يُعتبر الحفاظ على السمعة الطيبة للعائلة من أعلى القيم الاجتماعية، ويُعزز المثل من هذه الفكرة من خلال التأكيد على أن الأبناء الذين يتبعون خطى آبائهم في الفضائل هم موضع احترام وتقدير. هذا المثل يلعب دورًا في تشكيل الهوية الثقافية والجماعية للأفراد، ويُستخدم في توجيه السلوك الاجتماعي لضمان الاستمرارية بين الأجيال (Al-Harbi, 2014; Al-Jabri, 2018).

تُؤَكد الدراسات الاجتماعية أن هذه الأمثال تساهم في تشكيل روابط قوية بين الأفراد وعائلاتهم ومجتمعاتهم، حيث يعزز المثل فكرة التعاون الاجتماعي والانسجام بين الأجيال. في سياقات مختلفة، يُستخدم المثل أيضًا لتسليط الضوء على أهمية الموروث الثقافي في تحديد السلوكيات والتوجهات. الأمثال تساعد في نقل القيم من جيل إلى جيل، مما يسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي وتعزيز الشعور بالانتماء. علاوة على ذلك، تلعب الأمثال دورًا في تثبيت المعايير الأخلاقية التي يتم تبنيها في الحياة اليومية، مما يعزز الالتزام بالقيم الأسرية والاجتماعية التي تُعتبر أساسية لتحقيق التماسك الاجتماعي.

وفي المجتمعات الحديثة، يُستخدم المثل في تعليم الأجيال الجديدة عن التراث الثقافي وكيفية الحفاظ عليه. كما يُنظر إليه كأداة تربوية لرفع الوعي الاجتماعي حول كيفية تأثير سلوك الأفراد على سمعة العائلة والمجتمع ككل. في هذا السياق، لا يقتصر المثل على نقل القيم الأسرية فقط، بل يسهم أيضًا في بناء هويات اجتماعية وثقافية مستدامة.

النتائج

١) تأثير الوراثة والبيئة: يُشير المثل "من شابه أباه فما ظلم" إلى أن التشابه بين الآباء والأبناء ليس مجرد صدفة، بل هو نتيجة لتأثيرات وراثية وبيئية مشتركة. تُظهر الدراسات أن شخصية الفرد تتأثر بتفاعل معقد بين العوامل الوراثية والبيئية، مما يؤدي إلى تشابه في الصفات والسلوكيات بين الأجيال.

٢) دور الأسرة في نقل القيم: يُبرز المثل أهمية الأسرة كوحدة أساسية في نقل القيم والتقاليد عبر الأجيال. يُعتبر الحفاظ على السمعة الطيبة للعائلة من أعلى القيم الاجتماعية، ويُعزز المثل هذه الفكرة من خلال التأكيد على أن الأبناء الذين يتبعون خطى آبائهم في الفضائل هم موضع احترام وتقدير.

٣) التأثير المتبادل بين الوراثة والبيئة: تُشير الأبحاث إلى أن العوامل الوراثية والبيئية تتفاعل بشكل معقد لتشكيل شخصية الفرد. في مراحل الطفولة، يكون للبيئة العائلية تأثير كبير، بينما يبدأ تأثيرها في التراجع مع تقدم العمر، حيث يصبح الأفراد أكثر استقلالية في اختيار تجاربهم وبيئاتهم الخارجية.

التوصيات

١) تعزيز دور الأسرة في التربية: نظرًا لأهمية الأسرة في نقل القيم والتأثير على تكوين شخصية الفرد، يُنصح بالتركيز على التربية الإيجابية وتعزيز القيم الحميدة داخل الأسرة لضمان انتقالها بسلاسة إلى الأجيال القادمة.

٢) الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية: يُوصى بتوفير بيئات اجتماعية وثقافية داعمة تُعزز من القيم الإيجابية وتُسهم في تطوير شخصية متوازنة قادرة على التفاعل الإيجابي مع المجتمع.

٣) التوعية بأهمية التفاعل بين الوراثة والبيئة: يُنصح بنشر الوعي حول كيفية تفاعل العوامل الوراثية والبيئية في تشكيل الشخصية، مما يُساعد الأفراد على فهم تأثير هذه العوامل والعمل على تطوير ذواتهم بشكل أفضل.

٤) تشجيع الدراسات المستقبلية: يُشجع الباحثون على إجراء مزيد من الدراسات لفهم التفاعل المعقد بين الوراثة والبيئة وتأثيره على تكوين الشخصية، مما يُسهم في تطوير استراتيجيات تربوية واجتماعية أكثر فعالية.

ومن خلال هذه النتائج والتوصيات، يتضح أن التشابه بين الآباء والأبناء ليس مجرد نتيجة للعوامل البيولوجية، بل هو نتاج لتفاعل معقد بين الوراثة والتربية والثقافة، مما يُبرز أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة والبيئة في تشكيل شخصية الفرد.

خاتمة

يعد المثل "ومَنْ يشابه أَبَه فَما ظَلَم" من الأمثال العربية القديمة التي تحمل دلالات عميقة في فهم العلاقة بين الأجيال وتأثير البيئة العائلية والوراثة على تكوين شخصية الفرد الترابط العميق بين الأجيال، ذلك المثل الذي يستند إلى عوامل وراثية، اجتماعية، ودينية. وإن المثل القرآني "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا" (الأعراف: ٥٨)، على سبيل مثال، يعبر عن مفهوم رئيسي يتعلق بتأثير البيئة والأصل في تشكيل نتائج العمل أو سلوك الفرد. إذا ما طبقنا هذا المفهوم على المثل العربي "ومن يشابه أبه فما ظلم"، نجد أن هناك تقاربًا دلاليًا بينهما، حيث يؤكد كلا المثلين على أهمية الجذور، سواء كانت بيئية أو أسرية، في تشكيل الصفات والخصائص التي تظهر على الأفراد في حياتهم. ومن خلال استعراض الحجج الفلسفية والدينية والعلمية، يظهر أن التشابه بين الآباء والأبناء ليس مجرد ظاهرة بيولوجية، بل هو نتاج تفاعل معقد بين الوراثة والتربية والثقافة. ويظل هذا المثل شاهدًا على الحكمة العربية القديمة في فهم العلاقات الأسرية وأثرها المستمر في تشكيل المجتمعات.

CONFLICTS OF INTEREST: The author declares no conflict of interest.

ETHICS STATEMENT: This research is based on textual analysis and did not involve human participants or animals. The study complied with institutional and international ethical guidelines; therefore, no formal ethical approval was required.

REFERENCES

al-ʿAnzī, M. (2010). *al-Taḥlīl al-tārīkhī li-al-shiʿr al-Umawī*. Dār al-Ṭalīʿah.

al-ʿAwad, M. (2019). *al-Amthāl al-shaʿbiyyah wa-atharuhā fī tashkīl al-huwiyyah al-thaqāfiyyah*. Dār al-Nashr al-ʿArabiyyah.

al-Alūsī, Shihāb al-Dīn. (n.d.). *Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm wa-al-sabʿ al-mathānī*. Dār al-Nashr Ghayr Maʿrūfah.

al-Balūshī, A. (2018). Dawr al-amthāl fī taʿẓīm al-huwiyyah al-thaqāfiyyah wa-al-ijtimāʿiyyah. *al-Majallah al-ʿArabiyyah lil-Dirāsāt al-Thaqāfiyyah, 10*(4), 122–135.

al-Harbī, A. (2014). al-Qiyam al-akhlāqiyyah wa-al-ijtimāʿiyyah fī al-amthāl al-shaʿbiyyah al-ʿArabiyyah: Dirāsah taḥlīliyyah. *Majallat al-ʿUlūm al-Ijtimāʿiyyah, 12*(3), 45–67.

Ibn al-Athīr, ʿIzz al-Dīn. (n.d.). *al-Kāmil fī al-tārīkh*. Dār al-Nashr Ghayr Maʿrūfah.

Ibn Khaldūn. (1377). *al-Muqaddimah*. Dār al-Nashr Ghayr Maʿrūfah.

al-Jābirī, M. (2018). Dawr al-usrah fī naql al-qiyam al-akhlāqiyyah ʿabr al-ajyāl: Dirāsah maydāniyyah. *al-Majallah al-ʿArabiyyah lil-Tarbiyah wa-al-Thaqāfah, 8*(2), 101–123.

Plomin, R., DeFries, J. C., Knopik, V. S., & Neiderhiser, J. M. (2013). *Behavioral genetics* (6th ed.). Worth Publishers.

Rothbart, M. K. (2011). *Becoming who we are: Temperament and personality in development*. The Guilford Press.

al-Sayyid, A. (2013). *Asālīb al-balāghah fī al-adab al-ʿArabī*. Dār al-Fikr al-ʿArabī.

al-Sayyid, A. (2018). *al-Qiyam al-ijtimāʿiyyah fī al-amthāl al-ʿArabiyyah*. Dār al-Fikr.

al-Ṭāhir, M. (2007). *al-Shiʿr al-ʿArabī fī al-ʿaṣr al-Umawī: Dirāsah wa-taḥlīl*. Dār al-Fikr al-ʿArabī.

al-ʿUṭaybī, N. (2012). *al-Tawāruth al-qiyamī wa-al-ijtimāʿī fī al-amthāl al-ʿArabiyyah*. Dār al-Fikr.

al-ʿUṭaybī, N. (2015). *al-Lughah wa-al-balāghah fī al-amthāl al-ʿArabiyyah*. Dār al-Nashr al-ʿArabiyyah.